مقدمة

كيف ينتهى العالم؟

سؤال انشغل به العلماء منذ القرن العشرين ... وانشغل به المسيحيون منذ القرن الميلادى الأول...

يفكر العلماء فى انتهاء موارد الأرض وقصورها عن تلبية الموارد البشرية... أو نفاد طاقة الشمس فتموت كل الكائنات... أو يشعل بعض المهاويس حربًا نووية تقضى على الحضارة الإنسانية...

أما بعض المسيحيين فى الغرب، وخاصة غرب أوروبا وأمريكا، فقد انشغلوا بتأويل سفر الرؤيا... أو سفر يوحنا... وهو آخر أسفار العهد الجديد من الكتاب المقدس...حيث حلم يوحنا ـ الذى لا يمكن تأكيد أى يوحنا هو؟ هل هو حوارى المسيح عليه السلام أم يوحنا آخر ـ بنهاية الزمان، حين تنشأ قلاقل واضطرابات كونية... وتظهر وحوش غريبة... وتقوم حرب ويسيطر عدو المسيح... إلى أن يهبط المسيح ثانيًا ويقود جيوش الخير فى حرب ـ رآها فى أمريكا مؤلفون وكتاب مسلسلات وأفلام ودعاة إيفانجليكيون، ومسئولون حكوميون كبار... منهم وزراء ورؤساء ـ نووية يموت فيها مئات الملايين من البشر أعداء المسيح. وأفضل مرشح لدى الأمريكيين لأن يكون عدو المسيح فى الثلث الأخير من القرن العشرين وحتى اليوم، وإلى حين إشعار آخر، هم العرب والمسلمون...

لقد تغلغلت رؤيا يوحنا فى ضمائر المسيحيين فى أوروبا الغربية منذ القرون المسيحية الأولى ... وتجلت فى الحروب الصليبية... والتى افتتحها الصليبيون بذبح يهود أوروبا، فهم مجمع الشيطان، قبل ذبح المسلمين واليهود على أرض فلسطين...

وتحدث عنها كولومبس فى يومياته التى قال فيها عن رحلاته الاستكشافية لأمريكا إنها فى سبيل الله، للحصول على الذهب والفضة لاستعادة القدس، وإعادة الله لها حتى ينتهى الزمان...

واستمرت الرؤيا فى ثقافة أوروبا الغربية الشعبية وضمائرها، وتجلت فى ألمانيا وبوهيميا وفرنسا وإنجلترا، فى أساطيرها وفى ثوراتها الشعبية... ومارست جاذبيتها الكبرى على الأنجلوساكسون... فتحركت ـ كما يقول المؤلف ـ إلى الغرب أكثر.

يتحدث الكتاب عن مشاهير أوروبيين تعلقوا بالرؤيا وحاولوا حل رموزها أو العمل بمقتضاها... منهم الملك الشمس لويس الرابع عشر، والثائر الحاكم كروميل، وشاعر إنجلترا ويليام بليك، وحتى العالم إسحاق نيوتن... وكل ذلك فى فترة التنوير ... إن لم يكن فى ذروتها ...

ثم انتقلت الرؤيا ونفوذها الواسع ـ غربًا أكثر وأكثر ـ إلى أمريكا... وهناك تمت أمركتها ... حيث أسرت اهتمام الشعب الأمريكى أكثر من كرة القدم الأمريكية...

فأول الكتب التى حازت لقب الأكثر مبيعًا فى التاريخ الأمريكى، كانت قصيدة مايكل ويجلزورث (١٦٣١ ـ ١٧٠٥م) : «يوم الحساب»...

واعتبر الثوار الأمريكيون أن الملك جورج الثالث الإنجليزى هو عدو المسيح الذى يجدر قتاله...

وبذر القس الأيرلندى داربى (١٨٠٠ ـ ١٨٨٢م) من الرؤيا فكرة ضرورة عودة اليهود لفلسطين لتحقيق نبوءات الكتاب المقدس، وحتى يجىء المسيح...

وكان الفكر الرؤيوى السائد فى الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت، أنه مع تحسن أحوال المجتمع المسيحى ووصوله إلى المثالية، سيهبط المسيح ... لكن جاءت الحرب الأمريكية الأهلية فى ستينيات القرن التاسع عشر... وسقط فيها أكثر من ٦٠٠,٠٠٠ قتيل بعد حرب استمرت سنوات فى بلد لم يكن سكانه يبلغون ٣٠ مليون نسمة ... وتبع ذلك وصول كاثوليك ويهود، ومنهم علمانيون إلى أمريكا ـ وكلهم أشرار فى نظر أصحاب الرؤيا ـ ثم خروج داروين بنظريته عن الخلق التى

ناقضت نصوص الكتاب المقدس، فانقسم المسيحيون إلى متشددين أو حَرْفيين وليبراليين ... امتد الانشقاق حتى نشبت الحرب العالمية الأولى ... فظهر أنه ليس هناك كبير أمل فى تحسن الأحوال المسيحية للدرجة المثالية التى تجىء بالمسيح، وتغلب الفكر الثانى للرؤيا الذى يقول بهبوط المسيح أولاً، لتبدأ الألفية السعيدة ...

ويرتبط هبوط المسيح بقيام دولة إسرائيل، وسيطرة عدو المسيح ... الذى يهزمه المسيح بقوته فى أرمجدون ...

بذر القس الأيرلندى فكرة ضرورة عودة اليهود لفلسطين فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ... وتلقفتها منه جماعات الإيڤانجليكيين فى الولايات المتحدة، والتى يبلغ تعدادها الآن ٨٠ مليونًا .. ويشكلون ربع الأصوات الانتخابية أو ثلثها ...

وأصبحت تلك الفكرة متسلطة عليهم منذ النصف الثانى للقرن التاسع عشر ... وقبل ظهور هيرتزل وأعماله فى أوروبا ..

قاد تلك الفكرة آنذاك ويليام يوجين بلاكستون (١٨٤١ ــ ١٩٣٥م) ... والذى يعتبر الأب الحقيقى للصهيونية ــ وليس هيرتزل ــ والذى كرمته إسرائيل بغابة تحمل اسمه.

قدم بلاكستون عريضة جمع لها توقيع ٤٠٠ من وجهاء الأمريكيين تطالب بالمساعدة على عودة اليهود لجبل صهيون، وقدمها للرئيس الأمريكى بنيامين هاريسون فى ٥ مارس ١٨٩١م .

كذلك قام دوايت إل . موودى (١٨٣٧ ــ ١٨٩٩م) بالترويج لفكرة هبوط المسيح لبدء الألفية السعيدة، واقتراب أجل ذلك ونهاية الزمان ...

أنشأ موودى معهدًا ودار نشر ومحطة إذاعة للتبشير بذلك ...

قويت فكرة قيام إسرائيل وتحقق نبوءات الكتاب المقدس بـ «تحرير أورشليم (القدس) على يد الجيش البريطانى عام ١٩١٨م فى الحرب العالمية الأولى» ... ثم جاء وعد بلفور من الحكومة الإنجليزية، التى قال أصحاب الكلمة فيها إنهم يعلمون عن ملوك إسرائيل أكثر مما يعلمون عن ملوك إنجلترا...

وجاء انتصار إسرائيل فى حرب الأيام الستة فى يونيو عام ١٩٦٧م ليثبت أن الله ما زال على عهده مع شعبه المختار ...

وقويت أكثر نظرية قيام إسرائيل كشرط لقدوم المسيح، حتى بين كثير ممن كانوا يرفضونها من المسيحيين واليهود ...

وكتب هال ليندسى فى أواخر الستينيات من القرن الماضى مؤلَّفه المشهور الذى بيع منه ٢٠ مليون نسخة، وأصبح بعد ذلك فيلما سينمائيا: «The Late Great Planet Earth»، وفيه أن عدو المسيح هم العرب والمسلمون.... ودعاه الرئيس ريجان إلى البيت الأبيض، وإلى حضور اجتماع مجلس الأمن القومى، ليلخص للجنرالات وبقية الأعضاء ماذا سيحدث وماذا عليهم أن يفعلوا ...؟

كذلك دعا ريجان الإيفانجليكى الأشهر جيرى فالويل ليقوم بدوره بالتبشير بين أعضاء مجلس الأمن القومى وإعطائهم إرشاداته الرؤيوية ...

وكان ريجان يقول: أظن أننا الجيل الذى سيشهد أرمجدون ... وكان يرد على كبار موظفيه عندما يخاطبونه عن عجز الميزانية بأن الوقت أقصر من ذلك... فأرمجدون على الأبواب ... كذلك لم يفلت وزير دفاعه ووزير داخليته من أسر سفر الرؤيا، وبصفة عامة، تأثرت سياسات ريجان الداخلية والخارجية بالسفر...

ولم يفلت أيضا من أسر الرؤيا مشاهير علمانيين، مثل جون روكفلر الذى قال: أنا أنظر لإنشاء مملكة الرب على الأرض نظرة حَرفية ... ومثل مهندس صواريخ فى وكالة ناسا، شارك بعقله فى حل لغز سفر الرؤيا ...

وفى تسعينيات القرن الماضى، كتب القس تيم لاهاى سلسلة عن نهاية الزمان والمجىء الثانى للمسيح وحرب أرمجدون ... بيع منها ٦٠ مليون نسخة، وأصبحت لعبة للنشء، وشرائط ڤيديو، ثم وضع القس سلسلة مبسطة للنشء حتى يشبوا على أساس سفر الرؤيا...

وهناك نقطة جديرة بالملاحظة... أن الأسطورة التى نسجتها أمريكا الإيفانجليكية عن سفر الرؤيا، تحتم قتل اليهود الذين لا يؤمنون بأن عيسى هو المسيح، وأن ذلك

هو القدوم الثانى له... فكأن قدوم المسيح الثانى سيقضى على المسلمين واليهود... ولكن بعد أن يستقر اليهود فى فلسطين... وهذه إشكالية يفضل جميع الصهاينة السكوت عنها...

والنقطة الأجدر بالملاحظة، أن دعوة المسيح عليه السلام تقوم على الحب والتسامح والزهد فى الدنيا، والبعد عن العنف والماديات بصفة عامة، بل إن المسيح قال بوضوح وصراحة ما يناقض كل ما بناه الغرب على سفر الرؤيا عندما قال: «مملكتى ليست فى هذا العالم».

عادل المعلم